

DOI: 10.54240/2318-015-001-008

طرائق تنصير المسلمين في الأندلس والرد عليها
خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد
(دراسة وثائقية)
Methods of converting Muslims in Al-andalus and responding
to them during the fifth and six centuries of hidjra/eleventh
and twelfth centuries: documentary study

اسم ولقب المؤلف المرسل: ميساء يوسف محمد مي- M. Y. Mohamed May صص 165- 187
الدرجة والعنوان المهني: دكتوراه (الإجازة العالمية) التاريخ الإسلامي- أستاذ التاريخ- كلية الدراسات
الإنسانية (القاهرة)، جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: maimaissaa1@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2024/12/30. تاريخ المراجعة: 2025/1/10.. تاريخ القبول: 2025/5/18

الملخص: يقدم البحث تأصيلاً واقعياً لحقبة زمنية شهدت محاولات تنصير المسلمين في الأندلس الإسلامية، وقد قدمت عديد من الوثائق شواهد من وقائع هذه المحاولات، الأمر الذي تطلب الوقوف على رؤية ذهنية لأرباب التنصير، وتوضيح الكيفيات التي كانت تتبع في تنصير المسلمين، من طرف القساوسة الذين آل إليهم مهام تنصيرهم، وكذلك إيضاح سبل دفاع المسلمين عن دينهم وكيفية الرد عليهم، وذلك استقراءً لبعض من هذه الوقائع خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، تزامناً مع تتابع تساقط الأندلس الإسلامية، والذي استطاع القساوسة استغلاله للتأثير على نفسية وذهنية المسلمين، سواء أكان المسلمون الأحرار في الأندلس الإسلامية، أم الأسرى المسلمون المنتمون للأندلس، الذين وقعوا في قبضة النصارى، من خلال عرض لثلاث شرائح مجتمعية هي تعبر بإيجاز عن فئات طبقات المجتمع؛ حيث الحاكم، والشيخ الفقيه، والشاب في مقتبل عمره، ولا غرابة أن بلغت الجرأة من القساوسة في التهجم على ذهنية المسلمين بمحاولة تنصير هذه الفئات من الطبقات المجتمعية، اعتماداً على أمرين، الأمر الأول: ثقافتهم المزعومة في قوتهم التي استمدوها

من ركام ضعف بعض الحكام الأندلسيين، والأمر الثاني: يقينهم أن تنصير هذه الفئات هو بمثابة فتح بوابة تنصير باقي الفئات بطبقات مجتمع الغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: طرائق- تنصير- الأندلس- المسلمين- وثائقية.

Summary: The research presents a realistic foundation for a period that witnessed attempts to convert Muslims in Islamic Andalusia, with many documents providing evidence of these attempts. This necessitated an exploration of the mindset of the converters and a clarification of the methods employed in the conversion of Muslims by the clergy assigned with this task. It also clarifies the ways in which Muslims defended their religion and how they responded to these attempts, through an examination of some of these events during the fifth and sixth centuries of the Hijri calendar / eleventh and twelfth centuries of the Gregorian calendar, coinciding with the successive fall of Islamic Andalusia, which the clergy managed to exploit to affect the psyche and mentality of Muslims, whether they were free Muslims in Islamic Andalusia or Muslim captives from Andalusia who fell into the hands of Christians. This is presented through an overview of three social segments that briefly represent societal classes: the ruler, the scholarly Sheikh, and the young person in the prime of their life. It is not surprising that the clergy exhibited such boldness in attacking the mentality of Muslims by attempting to convert these social classes. Based on two things, the first: their alleged confidence in their strength derived from the weakness of some of the Andalusian rulers, and the second: their certainty that the conversion of these groups is akin to opening a gateway for the conversion of the rest of the groups in the layers of Islamic Western society. Keywords: Methods- Christianization- Andalusia- Muslims- documentary.

المقدمة: عند قراءة العنوان قد يتوجس البعض أنها محاولة مباشرة للتدخل في شؤون الدين النصراني؛ لكن، هي مجرد تسليط الضوء على وعكة زمنية مرت بها الأندلس، وقد حاولت الممالك النصرانية استغلالها ليس بالسلاح فحسب؛ بل بزعة العقيدة الإيمانية، انتقاصا وانتقاصا من الدين الإسلامي في صدور المسلمين، وهذا بممارستها لعدد من طرائق التنصير، والتي كانت بتأييد ودعم من الكنيسة زمنئذ.

لذا اشتمل البحث على تمهيد تناولت فيه أثر المكان والزمان على كيفية الإعداد للتنصير حتى تحقق الممالك النصرانية النجاح المرجو من وجهة نظرها، ثم انقسم البحث إلى عنصرين، العنصر الأول: اشتمل على التعريف بطرائق التنصير من حيث الكيفية والمنهجية، ثم العنصر

الثاني: وهو ذكر وقائع عن شواهد التنصير خلال مرحلة الدراسة، فيتضح من خلالها طرائق التنصير التي تعرض لها العوام من الحاكم وحتى المحكوم.

تمهيد: الأثران الجغرافي والسياسي في تنصير المسلمين بالأندلس: من الواقع أن يتبادر للذهن التساؤل؛ عن أثر المكان و السياسية لا سيما العسكرية في تنصير المسلمين بالأندلس؟ ؛ لكن الأمر يتضح بالوقوف على فطنة حكام الممالك النصرانية عند التعامل مع مزية الموقع الجغرافي، واختيارهم للمدن الثلاث، وهي: سرقسطة، و طليطلة، لَشَبُونَة (Cerro de Lisboa)¹، من حيث مزية التجاور المكاني لهذه المدن، فسرقسطة مدينة الثغر الأعلى وتقع في الشمال الشرقي من طليطلة، والتي تقع بدورها في قلب الأندلس الإسلامية، وكتاهما تتاخمان حدود قشتالة القديمة²، وجمع بينهما نهر تاجة (نهر طليطلة)³، هذا النهر الذي يسر عبور الجنود القشتاليين من خلاله إلى مملكتي سرقسطة و طليطلة، فضلا عن تمتع المملكتان بفضاء يحيطهما من الرياض والبساتين والسهول، والتي عبرت من خلالها الجيوش القشتالية إليهما دون عائق، وأما لَشَبُونَة، فقد أدى تجاورها مع طليطلة، إلى ارتباط المصير بها، فسقوطها من الوجهة الجغرافية يتلو سقوط طليطلة، لكونها المنفذ إلى لَشَبُونَة⁴.

وبذا فإن الموقع الجغرافي كان عاملا في اختصار زمن التنصير من خلال بث وتسريب طباع النصراني في بلادهم إلى هذه المدن المجاورة لهم، وكذلك كان للحدود المتاخمة من دور في تأمين عودة المُنْصَرِّين والمُنْصَرِّين حال هروبهم إلى الممالك النصرانية، مما أشعر حكامها النصراني بيسر تنفيذ مخططاتهم دون ضرر ملموس على بلادهم.

وعلى صعيد التخطيط السياسي في جانبه العسكري، فقد كان اندلاع الحرب بين المملكتين سرقسطة و طليطلة في صالح الممالك النصرانية؛ لأن هذه الحرب كانت إيذانا بيسر

1 لَشَبُونَة: مدينة من أعمال شنتين، قريبة من البحر، إلى الغرب من قرطبة. تقع على نهر تاجة، تتميز بالتبر الخالص والعسل المائز عن سائر عسل الأندلس، سقطت في يد الممالك النصرانية، عام (573 هـ/ 1177 م). الحموي، ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 هـ/ 1977 م، مج 5، ص 16.

2 قشتالة: قلب الأندلس النصرانية، وتمتد إلى الشمال الشرقي منها، مؤنس (حسين): المرجع السابق، خريطة رقم (98)، ص 175

3 الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422 هـ/ 2002 م، د. ط، مج 2، ص 547.

4 عنان (محمد عبدالله)، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417 هـ/ 1997 م، ط 4، ص 265، 279.

تفرقهما ومن ثم استطاع فرناندو الأول (Fernando I) (429-458هـ/ 1037-1065م)¹، ملك قشتالة وليون² من العبور خلال نهر تاجة إلى طليطلة بعدما أمنوا جانب سرقسطة، التي قاموا بدعمها عسكرياً منذ عهد سليمان بن هود (431-438هـ/ 1046م)³، هذا كما قامت نافارا (نبرة)⁴ بدعم الطليطليين في عهد المأمون بن ذي النون في سنة (436هـ/ 1044م)، كما زادت من فرصة سيطرة قشتالة ونافارا على المدن الثلاث سياسياً وعسكرياً استغلالهما لتأجيج الحرب الأهلية في ولايات سرقسطة بعد قيام سليمان بن هود بتقسيمها بين أبنائه، وما نجم عن هذا التقسيم من جشع أحمد بن سليمان (438-474هـ/ 1046-1081م)⁵، الذي ورث حكم سرقسطة عن أبيه؛ إذ أصبح طامعاً في الولايات التي كانت بحوزة إخوانه؛ وبذا اندلعت نيران الفتنة بينهم⁶.

1 فرناندو الأول: ملك قشتالة وليون، لقب بالكبير (El Magno)، أنشأ في (442هـ/ 1050م)، أول مجلس نيابي كنسي، أصدر العديد من الأصول في القوانين الكنسية. عنان، المرجع نفسه، ص 382، 387.

2 ليون: مدينة ثم تحولت إلى مملكة في (139هـ/ 757م) في عهد ألفونسو الأول (122-139هـ/ 739-757م)، تقع إلى أقصى الشمال الغربي من قشتالة. أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1407هـ/ 1987م، ط 1، خريطة رقم (98)، ص 175، 187.

3 سليمان بن هود: هو المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود، تولى حكم سرقسطة وجميع الثغر الأعلى عدا طرطوشة التي كانت تحت حكم بعض الفتيان العامريين، حيث لبى العامري، ثم مجاهد العامري، ثم يعلى ثم الفقى نبيل، الذي قد تنازل عنها للمقتدر بن هود في (452هـ/ 1606م)، هذا وقد استمر حكم سليمان مدة ثمانية أعوام، وقد اتسم عهده بالمسالمة مع الممالك النصرانية، واستمرارية في النزاع مع جيرانه بطليطلة. عنان، المرجع نفسه، ص 271-274.

4 نافارا: أقصى الشمال الشرقي من الأندلس النصرانية، على حدود جبال الشارات (الألبترتات)، من ناحية الغرب، وإلى أقصى الشرق من قشتالة. مؤنس (حسين): المرجع السابق، خريطة رقم (98)، ص 175.

5 أحمد بن سليمان: المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود، تولى عقب وفاة والده، استطاع ضم طرطوشة، ودانية من دولة الفتيان العامريين إلى أعماله، تميز بالنشاط لحماية بلاده، والاهتمام بتجهيز جيشه، حتى توفي بمرض الكلب، جراً عضه كلب له. ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني)، أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م، ط 2، ق 2، ص 171.

6 عنان، المرجع نفسه، ص 272-274.

وقد عضد الموقف القشتالي في سرقسطة ما قام به النورمان الوافدون من بلاد الغال (فرنسا) جنوة¹ وبيشة(بيزة)²، بتأييد من الكنيسة، بشن غارات متوالية عنيفة على بربشتر القاطنة في الشمال الشرقي من سرقسطة³، الأمر الذي ينسحب على طليطلة؛ إذ خضعت لأطماع القشتاليين الذين شنوا الكثير من الغارات على الشمال الشرقي منها منذ (554هـ/1062م)⁴، إلا أنه نظرا لما تتمتع به طليطلة من موقع جغرافي حصين يصعب الاعتماد على اختراقه حريبا فقط؛ بل لا بد أن يكون غزوها من الداخل أيضا، وهو ما أيقنه ألفونسو السادس (458-501هـ/1065-1107م)⁵ أثناء اقامته لاجئا عند المأمون بن ذي النون(435-467هـ/1043-1075م)⁶، الأمر الذي ألجأه إلى دراسة وضعية الحكام فيها؛ حتى احتال عليهم بإشعال نار الفتنة بين طليطلة و جيرانها من ممالك الطوائف؛ ليتمكن بذلك من إسقاط طليطلة في(478هـ/1085م)، حيث عهد القادر بالله حفيد المأمون بن ذي النون(467-485هـ/1075-1092م)⁷، وذلك بجموع من جيش قشتالة، وليون، وأراغون فضلا عن المتطوعين من فرنسا، لتصبح طليطلة مركزا رئيسا للكنيسة الأندلسية، محاولون إسداء عليها طابع القدسية بإقناع أنفسهم أنها بذلك قد عادت لمكانتها الدينية التي قد سلبتها المسلمون

1 جنوة: مدينة ساحلية قديمة شمال بحر الروم(البحر المتوسط)، تقع على مقربة من المغرب الأدنى، وهي شمال غرب إيطاليا حاليا. الجُمَيْرِي (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984م، ط2، ص173. مؤنس(حسين)، المرجع نفسه، خريطة رقم(86)، ص164.

2 بيشة: مدينة عتيقة من كبرى مدن بلاد الروم(الممالك النصرانية)، شمال شرق فرنسا حاليا. الجُمَيْرِي، المصدر نفسه، ص120. مؤنس(حسين)، المرجع السابق، خريطة رقم(86)، ص164.

3 عنان، المرجع السابق، ص271-282. مؤنس(حسين): المرجع السابق، ص188.

4 عنان، المرجع السابق، ص383.

5 ألفونسو السادس: ألفونسو السادس بن فرناندو الأول، أورثه أبوه حكم ليون، ثم حاز ملك قشتالة وجيليقية بعد نزاع مع اخوته. المَرَاكُثِي، ابن عَدَّاري (أبو عبد الله محمد (أو أحمد) بن محمد)، البيان المغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت، ط3، ج4، ص49. عنان، المرجع السابق، ص386، 393-394.

6 المأمون بن ذي النون: يحيى بن إسماعيل بن ذو النون، تولى عقب وفاة أبيه وكان يسير على سنن أبيه، جامع الحزم مع العزم حتى وفاته. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص177-178.

7 القادر بالله: يحيى بن المأمون يحيى بن ذي النون، شهد عهده استهتار في الدفاع عن طليطلة، الأمر الذي دفعه لتسليمها للقشتاليين، واستمر في إقطاعه ببلنسية، حتى قبض عليه وتم قتله عقوبة لتسليمه المدينة للنصارى. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص179-182.

منها¹. وبذا استطاعت الممالك النصرانية التمهيد لنفسها في ممارسة الخطط التنصيرية لجموع المسلمين، لكنهم أخطأوا عندما توهّموا أنه لا رادع عن محاولاتهم التنصيرية في بلاد المسلمين. أما عن دور الكنيسة السياسي، لقد أفادت الكنيسة في الأندلس من أخطاء حكام صقلية، الذين تأخروا في تنصير المسلمين حتى أواخر عهد روجار الثاني (Roger II) (505-549هـ/1111-1154م)²، وعليه قامت الكنيسة البابوية في روما وغيرها من الكنائس من تقديم احترازمات دينية لاستيعاب معظم طوائف الكنائس شرقاً وغرباً، كما عقدت اتفاقيات مع حكام الممالك النصرانية للاتفاق على تنصير المسلمين³، ملبية لمتطلبات الدعم المادي و المعنوي لهم ولرجال التنصير⁴، مستغلة قرارات بعض الحكام والقضاة في هيكلة الحدث السياسي المناهض للمسلمين، إذ أعلنت غضبها لحكم قاضي قرطبة بإرغام أهل الذمة من اليهود بغرامة مالية؛ لما يقولونه: "...في عيسى ابن مريم؟ فقالوا: قتلناه صلبناه، قال: هل أدّيتم دينه؟ قالوا: لا والله؛ فقال لهم: والله لا تخرجوا حتى تؤدّوا دينه، فأغرّمهم عشرة آلاف دينار..."⁵، كما قامت بجذب النصارى المستعربين لا سيما الذين نشأوا في البلاط الطليطي، لإقناعهم بواجبهم نحو دينهم من الخروج على المسلمين، ومن ثم انتقل بعضهم بالولاء إلى البلاط القشتالي لمعاونتهم في محاربة المسلمين، لما أدركوه من دواخل المسلمين لا سيما السياسية منها، هذا فضلاً عن زرع

1 المراكشي، ابن عذاري: المصدر السابق، ج 4، ص 51. عنان، المرجع السابق، ص 95، 394، 396.

2 روجار الثاني: تولى الحكم بعد وفاة والده روجار الأول عقب انتهاء الوصاية عليه في (505هـ/1111م)، وفي عهده استقر الحكم النورماني في جنوب إيطاليا وصقلية. أحمد (عزيز)، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 1389هـ/1980م، ط 1، ص 64-65.

3 الممالك النصرانية: الممالك القائمة في الأندلس (إسبانيا) النصرانية، وهي خلال مرحلة الدراسة (نافارا-نيزه- وقشتالة- وليون، وجليقية) ثم تم ضم أراغون إليها، فضلاً عن برشلونة الواقعة بشمال شرق الأندلس الإسلامية، بالإضافة إلى عدد من الممالك الصغرى التي انضمت تباعاً إلى الممالك الكبرى منها، وقد خضعت عموماً تلك الممالك لعدد من الحروب الطاحنة فيما بينها، لذا شهدت دوماً تبادل مستمر في ظرفيتهن السياسية والحضارية. عنان، المرجع السابق، ص 377-382، 389.

4 غراب(عبدالفتاح إسماعيل)، العمل التنصيري في العالم العربي، مكتبة البدر، المنصورة، مصر، ط. خ، 2007م، ط 1، ص 38، 74. عنان، المرجع السابق، ص 384-385.

– Danial, Norman; The Arabs and Mediaeval Europe, Longman Group Limited, London, British, Second edition, 1979, p.87

5 العاملي، ابن سيمّاك (أبو القاسم محمد بن أبو العلاء محمد بن سيمّاك المالقي الغرناطي)، الجُلل المؤشّية، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ط 1، ص 144.

شبكات استدلالية (جاسوسية) من هؤلاء المستعربين ينقلون أوضاع المسلمين الداخلية، حتى يسهل الولوج بينهم ومن ثم تنصيرهم¹. كما حرص بعضهم أن ينضم لصفوف جيوش النصارى في إسقاط المدن الإسلامية بالأندلس، ومن ثم تنصير المدينة بضمها لبرائن الممالك النصرانية⁽²⁾. وهكذا اتضح كيف أسهم العنصر ان الجغرافي، والسياسي في تنفيذ طرائق التنصير.

العنصر الأول: طرائق التنصير (الكيفية والمنهجية): خضع المسلمون في الأندلس الإسلامية لويلات محاولات التنصير ذات الطرائق المتعددة، رغم كونها لا تخرج عن مسلكين، فالمسلك الأول؛ وهو التنصير العشوائي أي قيام النصراني من تلقاء نفسه بمحاولة إقناع المسلم أو بعض المسلمين في محيطه بالتنصير، والمسلك الثاني؛ التنصير المدبر؛ وهو انتخاب من يتولى مهمة تنصير المسلمين ذوي الشأن وكان لهؤلاء طرائق في تنصيرهم توضح منهجية التنصير؟، ودوافع اقناعهم؟، ونوعية الطريقة من كونها مباشرة، أو غير مباشرة، وغير ذلك من تفصيلات تتضح كما هو آت.

إن المقصود بطرائق التنصير³: من حيث التعريف، هو مصطلح مركب إضافي، فالطرائق: جمع ومفردا طريقة، ويقصد بها الوسيلة المؤدية إلى الغرض المرجو تحقيقه، وأما التنصير:

1 وفيها قيل من (بحر الطويل): والمسلمون مُقْسَمُونَ تنالهم أيدي العصاة بذلة وهوان ما بين مضطر وبين مُعَذَّب ومُقْتَلٍ ظلماً وآخر عان

القيرواني، ابن رشيقي (أبو علي الحسن بن رشيقي)، ديوان القيرواني، ابن رشيقي، جمعه ورتبه: عبدالرحمن باغي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م، د.ط، ص 208. ابن زُكُون (أبو علي حسن بن إبراهيم)، اعتماد الحكام في مسائل الأحكام، المكتبة الوطنية (الخزانة العامة) (خ،ع،ر)، الرباط، المغرب، ج 9، ص 388. ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون)، ديوان المبتدأ والخبر (العبر)، ضبط وفهرسة: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ج 1، ص 776-777. العاملي (ابن سيمّاك)، المصدر السابق، ص 155-161. عنان، المرجع السابق، ص 112-113.

-Thérèse Urvoy, Marie ;Remarques Sur Le Déchiffrement Des Manuscrits Mozarabes,Al Qant.ara,Madrid ,Espan,1998,Vol.XIX ,Fasc.2,p.p.419-423.

2 هذا يفسر فتوى بعض الفقهاء المالكية بمنع النصارى شراء سبي أهل الكتاب من الصغار لما يغرسونه فهم من أفكار معادية للإسلام. عيَّاض (عياض بن موسى اليحصبي السبتي): مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بنشرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ط 2، ص 81. ابن زُكُون، المصدر نفسه، ج 8، ص 150. ج 9، ص 194-195. المراكشي (ابن عذاري)، المصدر السابق، ج 4، ص 49، 69-71، 102. العاملي (ابن سيمّاك)، المصدر السابق، ص 150-163، 151. نكادي (يوسف)، صقلية الإسلامية النورمانية، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1445هـ/2023م، ط 1، ص 34.

3 التنصير: يقصد به قيام فرد أو مجموعة وفق مخطط كنسي أو قساوسي أي مؤسساتي بالدعوة إلى النصرانية، وأما مصطلح التبشير فهو مصطلح يدل على الفرع إن أطلق بدون قيد، وقد ذكر في القرآن الكريم بمعنى الفرع في سبعين موضعاً، وفي عدد سبع

يقصد به تحول المسلم واليهودي عن دينهما إلى النصرانية، وبعد سقوط غرناطة في سنة (897هـ/1492م)، أصبح يطلق على المنتصر بالمسيحي الجديد¹، و اتساقا مع موضوع البحث، سوف يقتصر الحديث على طرائق تنصير المسلم في المرحلة المشار إليها.

أما عن كيفية تنصير المسلم، فقد كان تعتمد على عاملين رئيسيين، العامل الأول: الانتفاع من تردي الوضعية السياسية والحضارية للأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، إذ عاشت بعض مدنها انتشار الفراغ السياسي للحاكم ورجاله، كما عايشت مدن أخرى ويلات بطش السلطة بالمجتمع²، مع تراجع احتمالات العيش بمجتمع متزن اجتماعيا لا سيما بعد سقوط طليطلة (478هـ/1085م)، وانتقال السيطرة الاقتصادية والاجتماعية إلى القوة الحاكمة القشتالية، فضلا عن انتشاء نصارى جنوة وبيشة، عقيب سقوط صقلية الإسلامية كليا عام (484هـ/1091م) في قبضة روجار الأول (Roger I)، (463-495هـ/1070-1101م)³، وعليه أصبح المسلمون بهذه المدن أقلية اجتماعية يعانون شظفًا اقتصاديًا، تزامنا مع الانتعاش الاقتصادي لرجال الكنيسة، والحكام بالممالك النصرانية الذين انتقلت إليهم خيرات البلاد، وهذا جميعه أرخى بتأثير سلبي على ذهنية المسلمين الذين أصبحوا رهين التأثير بالإشاعات، فبعضهم تأثر بما نما إلى علمه من مرونة الحاكم النصراني، وتسامحه مع المسلمين المقيمين في دار الحرب،، فضلا عن

مواضع بمعنى الحزن، وقد قصدوا بالتبشير هي الدعوة إلى النصرانية، اعتمادا على معنى مصطلح الإنجيل باليونانية، وهو يعني " الحلوان أوالبشارة"؛ لكن هذا المعنى يطلق على إنجيل واحد، الإنجيل الذي يتواجد في دار الكتب البابوية بالفاتيكان؛ لأنه يحتوي على نص صريح بيشري النبوة المحمدية- عليه أفضل الصلاة والسلام-، وللمزيد ينظر. غراب(عبدالفتاح إسماعيل)، المرجع السابق، ص8-19.

1 يعد المسيحي الجديد من ذوي الطبقة المتدنية. مكي(الطاهر أحمد)، شمس الله تشرق على إسبانيا، تحقيق: محمود محمد مكي، مكتبة المتني، الدمام، السعودية، 1445هـ، ط1، ص279-282.

2 ابن مُصَلِّين (يعلى بن مُصَلِّين المصمودي الجرجاني)، مختصر كتاب الفصول في أجوبة فقهاء القرويين في مسائل أهل البادية وأهل الجبال الذين لا ولي لهم ولا سلطان، للقبرواني، ابن زيد (أبو محمد عبدالله)، تحقيق: الحسن خالد شجعيد، دار الفتح، عمان، الأردن، 1445هـ/2023م، ط1، ج1، مسألة(72)، ص245-246. مسألة(272)، ص340، مسألة(294)، ص350. العاملي، ابن سَمَّاك: المصدر السابق، ص163.

3 روجار الأول: أصبح رجل صقلية الأول عقيب وفاة أخيه روبرت جيسكار(443-478هـ/105-1085م)، وقد أوكل له أخاه محاربة المسلمين في صقلية والتي استغرقت قرابة الثلاثين سنة، من عام (454هـ/1061م)، وحتى سقوطها كليا؛ ليستقر حكم جميع صقلية لرجار منذ ذلك الحين، وحتى وفاته. أحمد(عزيز)، المرجع السابق، ص58-64.

مخادعتهم بما تسامعوه من رغد عيش المنتصرين في الممالك النصرانية، وكانت لهذه الوسيلة الادعائية من أثر في تفعيل الهجرة العكسية من بعض المسلمين إلى دور الحرب لا سيما التي سقطت كطليطلة وصقلية، خاصة أصحاب الدوافع التجارية؛ مما ييسر إقناع بعضهم بالتنصير؛ لكن هذا لا يمنع من تواجد مثبطات قد أربكت مخططات التنصير، كاستمرار محاربة دولتي المرابطين فالموحدين لهم، لا سيما المحاولات مرابطية في استعادة طليطلة¹، وكذلك ما كان من تحقيق الانتصار على الممالك النصرانية في معركة الزلاقة (Batalla de Sagrajas) بتاريخ (479هـ/1086م)²، فالأرك (Alarcos) في (591هـ/1195م)³؛ هذا بالإضافة لمقاومة غالبية المجتمع لتلك المحاولات التنصيرية⁽⁴⁾.

أما العامل الثاني في كيفية التنصير؛ باختيار المنتصر الحاذق في كيفية تنصير المسلم؛ لذا أوكل أمر التنصير للقس ممن تنتخبه الكنيسة، ومن ثم يفوض المنتصر باختيار الوقت الذي

1 العاملي (ابن سفاك)، المصدر السابق، ص 149-150.

2 الزلاقة: أو سهل الزلاقة فحص على أطراف بطليوس إلى الشرق منها، وبها وقعت معركة فاصلة بين المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين، وبمعاونة بعض ملوك الطوائف، ضد الممالك النصرانية بقيادة ألفونس السادس ملك قشتالة، كأحد الحملات الصليبية الموجهة للمسلمين في النصف الغربي من العالم الإسلامي، وكان النصر فيها للمسلمين. ابن الخطيب، رَقْم الخُلل في نظم الدول، تحقيق: عبد الرحمن بن عايد بن أحمد المفضلي، دار المازري، تونس، 1443هـ/ 2021 م، ط1، ص 133-134. العاملي (ابن سفاك): المصدر السابق، ص 114.

- Guichard ,Pierre ;L'Espagne Et La Sicile Musulmanes Aux Xle Et Xlle Siecles, Presses Universitaires de Lyon, France, 1990, p.p. 133-134.

3 الأرك: كانت في عهد يعقوب المنصور، وكان النصارى بقيادة ألفونسو الثامن بن سانشو الثالث ملك قشتالة (553-611هـ/1158-1214م)، ويرفقههم التجار اليهود لشراء الأسرى، ودارت المعركة بموضع الأرك على النهر الأعظم بين قرطبة وإشبيلية، وانتهت بهزيمة النصارى. المُرَّاكشي (ابن عذاري)، المصدر نفسه، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان- دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م، ط1، ج5، ص 218-220. مكي (الطاهر أحمد)، المرجع السابق، ص 47. مؤنس (حسين)، المرجع السابق، خريطة رقم: (82)، ص 159.

4 إدريسي، المصدر السابق، مج2، ص 543-544. المُرَّاكشي (ابن عذاري)، المصدر السابق، ج4، ص 53، 69. العاملي (ابن سفاك)، المصدر السابق، ص 156. مكي (الطاهر أحمد)، المرجع نفسه، ص 96. أولاغوي (إغناسيو)، العرب لم يستعمروا إسبانيا، ترجمة: علي المنوفي- طارق شعبان، مركز نهوض للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2019م، ط1، ص 460-468. بوتشيش (إبراهيم القادري)، الأقلية الإسلامية في صقلية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 2016م، ط1، ص 68-79. السُّلعي (جعفر ابن الحاج)، اكتشاف البروتستانتية- مَدَيَات التعارف في المغرب والأندلس، مجلس حكماء المسلمين، الحكماء للنشر، القاهرة، مصر، 1445هـ/2024م، ط1، ص 374-376، 388-389. مكي (محمود علي): قراءة جديدة لوثائق مستعربي طليطلة، مجلة مجمع اللغة العربية، 1415هـ/1994م، د.ط، ج75، ص 43-45.

يخاله مناسباً للتنصير في إقليم كالأندلس، الغالب على سكانها الإسلام، وذلك باقتناص الوقت المناسب لعرض التنصير على المسلم، كافتناص القس ذيوخ نبأ التساقط الحتمي لمدينتي سرقسطة، ولشَبُونَة في برائن الممالك النصرانية - كما هو الحال في الوثيقتين الأولى، فالثانية-، وكذلك استغلاله لتساقط أسرى المسلمين في قبضة حكام الممالك النصرانية، - كما جاء في الوثيقة الثالثة- للقيام بالتنصير¹، وهذا بالتالي يفسر عوامل اشتداد التنصير خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، والذي تزامن التزاماً بقرارات وتوصيات مَجْمَع طليطللة⁽²⁾ المنعقد في (479هـ/1086م)، وقد شدد فيه على ضم الأندلس الإسلامية إلى الممالك النصرانية، لا سيما مملكة قشتالة³، فاشتدت عزائمهم لتحقيق مخططهم بالتنصير.

وأما عن منهجية طرائق التنصير، إذ بعد الانتهاء من تحديد الكيفية اللازمة للتنصير، كان على المُنَصِّر أن يحدد المنهجية أي الوسيلة المدبرة التي يتخذها لعرض التنصير على المسلم، وكانت لا تخرج عن منهجين، وهما: المنهج الأول: إعداد الكتب (الرسائل) التي يتحدث فيها القس عن المسيحية من خلال انتقاده أو انتقاضه لنصوص القرآن الكريم، بغية إدخال الشك

1 الخزرجي (أحمد بن عبد الصمد)، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشَّرْفِي، الجامعة التونسية، تونس، دت، دط، ص 7-9. بوتشيش: المرجع السابق، ص 16-18، 24.

2 مجمع طليطللة: عقد في عهد ألفونسو السادس عقيب سقوط طليطللة، بحضور أساقفة الكاثوليك ورجال دولته لطرده المسلمين من الأندلس الإسلامية.

Granados Garcia, Anastasio; El Rito Mozàrabe en Palencia, Palencia, Espane, 1973, p.17.

المُنَيَّبِي (أبو الحسن علي بن إبراهيم)، النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام، الخزنة العامة (خ، ع، ر)، الرباط، المغرب، ج 1، 3 و 124. ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِنَانِي الأندلسي الشاطبي، الرحلة، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، دط، ص 299. مي (ميساء يوسف محمد): الوثائق العدلية ودورها الحضاري في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد مخطوط كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للفاضل أبي الحسن علي المنيني (ت: 570هـ/1174م) أنموذجا، دكتوراه، غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1445هـ/2024م، ص 303-305.

- Danial.N ;Op.cit.p.87-89.Morgan, Campbell;Evangelism,Kaven Lipyrary ;Kons Kollege,Toronto,Canada,1904,p.p44-45.

الإيماني في ذهنية المسلم، ليستغل ظرفيته الإنسانية بالدعوة الصريحة للنصرانية موضحاً الفوائد التي سيظفر بها حال ارتداده¹.

وعن المنهجية الثانية: تكون باللقاء المباشر بانتهاج سياسية التسامح النفسي والتعايش الديني بغية استقطاب المسلمين، ثم الدعوة الصريحة والعلمية للنصرانية، بما يعرف بالتكيز² لدى بعض رجال الدين النصراني³.

ولزيد من التوضيح باستقراء ثلاث وثائق مع عرض لبعض الظروف المصاحبة لكل وثيقة منها، من خلال العنصر الثاني حيث محاولات التنصير للعديد من فئات المجتمع.

العنصر الثاني: مظاهر التنصير في المجتمع الأندلسي: بعد الانتهاء من التمهيد للتنصير واختيار المسلمين المراد تنصيرهم، يأتي الحديث عن أهم مظاهر محاولات التنصير في الأندلس، ومنها:

محاولة تنصير الحاكم: لقد أقنعت ظرفية سرقسطة الواهنة الراهب⁴ الموكل إليه تنصير الحاكم المقتدر بالله ابن هود(438-474هـ/1046-1081م)⁵ أن عرض التنصير عليه قد أصبح مواتياً، مقررًا اتباع المنهجية الأولى في عرض التنصير عليه، من خلال إرسال خطابات هي

1. و. ويبستر(وارين)، مراجع مختارة للمنصرين العاملين بين المسلمين، المؤتمر التبشيري (التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي)، دار مارك، كولورادو، أمريكا، 1978م، ص 577-579.

2 التكيز: من كَرَزَ يَكْرِزُ كَرْزًا، وهو الإعلان عن النصرانية بالعالم قديما، دون الاهتمام بالنتائج من استجابة له من عدمه، وقد استخدم هذا المصطلح قديما للإعلان عن إنشاء الكنائس كالكنيسة الإنجيلية، لكونها راعية لهذه الدعوات، ولجأ له أصحاب المناداة بالدين النصراني، عندما دخلوا إلى مصر، تبشيرا للناس للخلاص من ظلم الحكام، حامداً(إسماعيل)، تاريخ المسيحية، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر،، 2014م، ط1، ص 114-117. غراب(عبدالفتاح إسماعيل)، المرجع السابق، ص 18-19.

Morgan, Campbell; Ibid, p.27,49-50. -

3 آر بروستر(دانييل)، الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير، مؤتمر التبشير، ص 724-725. غراب(عبدالفتاح)، المرجع السابق، ص 19.

4 الراهب: هيو(St. Hughe) هو كبير رهبان دير(Cluny)بفرنسا، تولى رئاسة الدير(441-509هـ/1049-1109م)، كاثوليكي متشدد للمسيحية، ويضم ذلك من إلحاحه على دعوات التنصير. رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، تحقيق: محمد عبدالله الشرفاوي، دار الصبوة للنشر، القاهرة، مصر. 1406هـ/1986م، ط1، ص 32. عنان، المرجع السابق، ص 282.

5 المقتدر بالله ابن هود: أبو جعفر المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود، كان محبا للعلم شاعرا أدبيا، فأحاط نفسه بالفقهاء كأبي الوليد الباجي، وقد تمتع النصارى في عهده بالدعة، حتى بات الرهبان يدعونه للنصرانية ظلماً بإيجابه لهم، توفي المقتدر إثر عضه كلب له. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 172-173. عنان: المرجع السابق، ص 272-283.

تفديتك بنفوسنا، ومتى قبلت قولنا وعملت برأينا وتقررت عندنا إجابتك إلى ما ندعوك إليه من قبول كلم النجاة الدائمة التي نعرضها عليك، لم نتوقف عن الالتحاق بك. فتأمل – أيها الحبيب!- ما يحق عليك... وإن لم يظهر لك – يا أيها الحبيب!- مراجعتنا بجوابك على ما تضمنه كتابك لأفات الكتُب، فأودع ذلك إخواننا هؤلاء، وأطلعهم على شرك وما يتمثل في نفسك ونحن نضرع إلى سيدنا يسوع المسيح أن يتولى رعايتك، ويتكفل سلامتك ويهديك إلى دينه المقدس، ويسعدنا بالإيمان الصحيح به..."

وقد جاء الرد من المقتدر بالله مخيباً لآمال الراهب، فما كان صمته المطبق في السابق إلا تريثاً للرد القويم، بقلم أبو الوليد الباجي¹، والذي أسهب قائلاً: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم، العزة لله، والصلاة على رسوله، تصفحت- أيها الراهب- الكتاب الوارد من قبلك، وما مَتَّتَ به من مودتك، وأظهرته من نصيحتك، وأبديته من طويتك؛ فقبلنا مودتك لما بلغنا من مكانتك، عند أهل ملتك... ونهتينا- لعمر الله!- بنصيحتك على ما يلزمنا من ذلك لك... ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك، تعينت علينا مفاوضتك فيما رضيناه من مسألتك، ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصيح الذي يجري إليه أهل افضل، وأمرنا الله به على ألسنة الرسل، وكففنا عن معارضتك على ما استقبحناه من خطابك... فعسى أن يكون أقرب إلى استمالتك وأبلغ في معارضتك ومعالجتك!.

وإننا لنبأ بمثلك، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك، من أن عيسى- ﷺ- ابن الله تعالى:- بل هو بشر مخلوق وعبد مريب لا يعدو عن دلائل الحدوث: من الحركة، والسكون، والزوال، والانتقال، والتغير من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام، مما لا يصح على إله قديم، ولا يمكن عند ذي رأي سليم... وأمر الدنيا أحقر وأنها أنفر وأنزر من أن يغتر بها ذو عقل، أو يسكن إلى غرورها ذو لب؛ وإنما هي دار اختبار واعتبار وليست بدار جزاء ولا قرار، فالسعيد من عمل فيها وتزود منها إلى دار المقام الذي لا ينفذ

1 الباجي، أبو الوليد (سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب)، من كتبه: المنتقى شرح موطأ مالك. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ط11، ج18، ص535-544.

والنعيم الذي لا ينقضي، بل يتأبد، حيث ينفرد ربنا بالملك ويسير من أطاعه وأفرده بالعبادة، وأمن برسله وكتبه إلى رضاه في دار النعيم ويسير من أشرك به وكفر بشي من كتبه أو أحد من رسله إلى سخطه في دار الجحيم. ونرجو أن الله – تعالى ينجيك، بالإسلام منها ويبعدك بالانتقال إلى دين محمد - ﷺ - عنها... ورضينا به وخصنا بالقرآن الكريم) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد)، أفضل الكتب والخاتم لها، والحاكم عليها، والمصدق لها، تضمن علم الأولين والآخرين، وأنار قلوب المؤمنين بالحق المبين... ويلزمنا الاجتهاد في النصح لك، والرفق بك، والحرص على أن تكون من جملة هذه الأمة المكرمة، ومن أهل هذه الملة المعظمة الناسخة لجميع المل، والحاكمة على سائر الفرق، فتفوز برضى رب العالمين... وقد رأينا ما في كتابك مما خالفت فيه جميع أهل ملتك؛ فإنه ليس في فرق النصارى من يقول: إن المسيح لا ينبغي الإيمان بأحد سواه!... ولو تتبعنا ما في كتابك من التناقض، وفساد الوضع ومستحيل القول، لما سلم منه إلا اليسير الحقير... فإنك لا تنفعك جهل من اغتر بك فيها يوم الورود على ربك... والله نسأل أن يهديك، يهدي بك من قبلك فتفوز بأجورهم...".¹

والنصان يفرضان تعقيبات عليهما؛ ففيما يخص نص الراهب؛ إذ بدت الجرأة في أسلوبه؛ مما يدل على ذهنية الواصل بسطوته، معولا على الموقف السياسي للتأثير على الواصل الديني، متوهما بمقدرته في اقناع الحاكم، نظرا لصمته الطويل أمام خطاباته، فجاءت كلمات القس وإن أظهرت الوعد؛ لكنها تبطن الوعيد، وقد فطن لذلك الحاكم المقتدر ابن هود، كما فطن لها أبو الوليد الباجي، فأسهب بإنشائه البلاغي في الرد على الراهب، كما فاجئه بدعوته إلى الإسلام؛ ليقمع بذلك محاولاته في التنصير، وكما يؤكد له ثبات عمق الدين بنفوس المسلمين، وليس هذا فحسب، وإنما أثر الباجي تفنيد ما رَجَّ به في الإنجيل من تحريفات، باتباع الفلسفة العقلية في منطقية الحدث، كما يلحظ من أبي الوليد الباجي تكرار الدعوة له ولبنى جلدته بالدخول في الإسلام، ليؤكد له إدراك المسلمين أن ما حظى به بعض القادة المتنصرين من

¹ رسالة راهب فرنسا، المصدر السابق، ص 63-101.

المسلمين هو رغد مؤقت، وأن مصيرهم للإعدام، لتشكك رجال الكنيسة الدائم في أمرهم رغم تنصيرهم.

أما محاولة تنصير القس للشيخ الفقيه، فبالنظر إلى الموقع الجغرافي لمكان التنصير حيث لشبونة، المدينة القريبة من طليطلة والتي أيقن القس بحتمية تأثر أهلها بأحداث طليطلة بحكم الجوار، وبالتالي انتقلت الجرأة بفكرة تنصيرهم، أثناء حصار لشبونة في (542هـ/ 1147م)، عندما قابل قسيس شيخاً، إذ تحيّن هذه الطرفية لمحاولة التأثير على ذهنه، فعرض عليه التنصير، متبعاً منهجية اللقاء المباشر مع الدعوة غير الصريحة، أي بتطبيق منهجية التركيز في تنصير المسلمين.

لقد جاء نص التنصير من القس بإشعار الشيخ بأهمية: "الاستسلام للحكم النصراني مع الوعد بحرية العبادة، ما لم يختاروا زيادة عدد كنيسة الله..."¹، وهي دعوة تنصيرية، وإن كانت منهجية غير مباشرة؛ لكن يغلبها الجرأة والثقة بالنفس، وهي ما وصفها أحد المستشرقين، على أنها طريقة²: "... الأمد البعيد أو النفس الطويل..."، لذا كان رد الشيخ المسلم قائلاً: "بالتأكيد؛ أعتقد أن هذه المدينة كانت ملكك ذات يوم، ولكنها الآن ملكنا، وربما ستكون ملكك في المستقبل، لكنها ستكون هبة من الله، عندما أراد حصلنا عليها وعندما لا يرغب تحصل أنت عليها، فلا راد لحكم الله وإرادته"³.

ومن هذا اللقاء القصير يتضح الندية من الطرفين، فالطرف الأول كان واثقاً من قوله لثقتة في انتصار حكامه النصراني، أما الطرف الثاني وهو الشيخ فكان واثقاً قانعاً بقضاء الله يدافع عن دينه ويقينه بالله، موضحاً أن المسلم مؤمناً بأن الله أنزل الذكر وهو له خير حافظ، وأن الأراضي الأندلسية الإسلامية وإن سقطت للإسلام لا يسقط بسقوطها؛ لأنه راسخ في

1 The bishop, in trying to persuad the defenders to surrender easily, promises them freedom of worship under Christian rule, unless they choose to "increase the church of God";...". Danial. N; Op.Cit,p.p.87.

2 " Long usage...". Danial. N; Op.Cit,p.p.87.

(3)"Certainly, this city ,I think, was once yours;but now it is ours, and perhaps in the future will be yours. But this will be in the gift of god.When god wished, we had it; and when he shall wish us not to have it, we shall not have it. Indeed no wall is impregnable against the judgement of his will". Danial.N; Ibid,p.p.87.

النفوس، والنفوس بيد الله لا بيد المخلوق. كما ألمح له أن الأندلسيين يفتنون لغرضهم في أن حرب الممالك النصرانية هي حرب تملك أرض وليس حفظ دين.

وبعد هاتين المحاولتين الفاشلتين، زاد إصرار المُنصِّرِينَ من القساوسة على التوسع في التنصير؛ لعلمهم يظفروا بما لم يظفروه من الحاكم والفقهاء، فركزوا على فئة من فئات المجتمع وهم الأسرى، ظنا منهم بسرعة رضوخهم للتنصير.

وللمزيد كما وقع في طريقة تنصير الشباب المسلم؛ إذ يعلم المُنصِّرُونَ أن تنصير المسلم بالأندلس الإسلامية ليس بالأمر اليسير، لذا ركزوا على الأسرى بدار الحرب كما وقع للشباب القرطبي الذي أُسِرَ إلى طليطلة بعد سقوطها، ولأنّ حيثيات وضعية المسلم هي التي تمتح الفرصة للمُنصِّر في استغلالها، فالمسلم كونه شاباً يمتلك علماً مع دراية باللغة العربية، وعلوم الدين، والشريعة¹، لكنه وقع في إسهار وارغامات الرق؛ إذ أصبح من عداد خدام الأرض للنصارى² في طليطلة، يعيش بعيداً عن موطنه قرطبة، وعن شيوخه فيها، مفتقراً لأداء عبادته والجهر بديانته، وهي إكراهات قد جعلت النصراني يظن وهما بضعف ذهنية المسلم الأسير في دار الحرب؛ الكاره للبقاء فيها؛ لكن القسيس لا يعلم أن الشباب المراد تنصيره متفناً بعلوم الأديان، درس على العديد من الفقهاء، عالماً بأن الشرع قد حفظ للغائب حقه، لا سيما الغائب في بلاد الحرب³.

لقد جاءت المحاولة عندما قام قسيس غوطي متعصب، بدعوة عموم أسارى المسلمين للتنصير ناكراً لهم الكثير من الأحداث الإسلامية والأحكام الشرعية، فتشكك الناس منه وذهبوا للشباب ليستفتوه فنفي كلامه وأوضح لهم، حتى عاودوه وأفحموه قولاً، وبسؤالهم عن مصدر إجابتهم فأشاروا بالبنان إلى الشاب الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، فكتبه

1 الخزرجي (أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 7-9.

2 بوتشيش، المرجع السابق، ص 120-121.

3 ابن وُزْد (أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي)، الأجوبة، تحقيق: بدر العمراني، المكتبة العمرية- دار الذخائر، القاهرة، مصر، 1444هـ/ 2023م، ط 1، مسألة (11)، ص 99-100. ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله)، أحكام القرآن، تحقيق: مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة- المنصورة، مصر، 1437هـ/ 2016م، ط 1، ج 1، ص 620-625. عيَّاض: المصدر السابق، ص 124. الخزرجي (أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 9-11. بوتشيش، المرجع السابق، ص 26-27.

بخطاب صريح يدعوه للتنصير¹، وعن بعض ما جاء منه: "من فلان إلى فلان باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد سلام عليك أيها الفتى الإسماعيلي المسلم المحمدي ورحمة الله وبركاته. أما بعد الحمد لله الذي هدانا لدينه وأيدنا بيمينه وخصنا بابنه ومحبوه... المسيح إلهنا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما... فإذا أردت أن يتغمذك الله برحمته وتفوز بجنته فأمن بالله وقل المسيح ابن الله الذي هو الله وبالروح القدس... ألم تسمع ما في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك (أنه روح الله وكلمته، وأنه كان وجهها في الدنيا والآخرة ومن المقربين)... وفي الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك أنه يحيي الموتى وكفى بذلك دليلا على أنه هو الله... ودخلت العرب بلادنا واستأصلت ديارنا وهتكت أستاذنا... وأنا قد بذلت لك النصيحة في هذه الرسالة لما ظهر لي من نبلك فاعتبرها وتدبرها..."²

ويفهم من هذه الرسالة: إدراك القسيس لعلم الشاب وإن كان في مقتبل عمره، كما يدرك خشية الشاب على نفسه من القتل إن تصدى للقسيس في الجواب عليه، وهو ما جعل الشاب بداءة يعرب عن غضبه من مطالبته بالرد عليه؛ لكن قد قيض الله له حسن الظرفية السياسية؛ إذ منح الفكاك من الأسر أثناء كتابة الرد على القسيس، وقد جاء جوابه في هيئة كتاب أسماه: مقامع الصلبان في الرد على الأوثان³، وعن بعض ما جاء منها: "من فلان إلى فلان، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** إله فرد صمد (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)، سلام على المهتدين والحمد لله رب العالمين مفضلنا بالإيمان على جميع الأجناس وجاعلنا خير أمة أخرجت للناس نوحده الله بموجبات توحيده ونمجده سبحانه حق تمجيده ونؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ولا نشرك بعبادة ربنا أحدا وصلى الله على سيدنا ومولانا ونبينا وحبيبنا محمد خالص أصفياه وخاتم رسله وأنبيائه.... أما بعد أيها الأعجمي الألكن الطاعن على كتاب الله جهلا... ومن أعجب قولك الشاهد على جهلك أن

1 الخزرجي(أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 29-30.

2 لقراءة النص كاملا ينظر: الخزرجي(أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 30-39.

3 له العديد من الكتب في علوم الأديان للرد على محاولات التنصير ومنها: مقام المدرك في إقحام المشرك، وقصد السبيل في معرفة آيات الرسول، وأفاق الشموس وأعلاق النفوس وهو في سنن النبي - ﷺ، نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه و منسوخه، وغير ذلك.

ذلك. الخزرجي(أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 12-13، 38-39.

تندب مسلما إلى الإيمان بالله عيسى وتقول عيسى بن مريم رسول الله... أخبرني أيها الجاعل إليه المسيح... وقد كان يجب لله تعالى لو سبق في حكمه أن يكون إنسانا وينزل لمباشرة عبادته كما زعمت أن يمتنع من التغوط إذ هو دنية ابتلى بها آدم وبنيه مبينة لنقصهم... وهو تعالى المختص بالكمال والموصوف بالعظمة والجلال فلا تليق به تلك الدنية، ولا يعلم في فرق ملتكم من يقول إن عيسى لم يكن يتغوط ولا يبول حاشا لله أن يحقر خلقه بدنية يراها أخس الأدميين عارا على نفسه ثم يتشبه بعبيده فيها... وفي الإنجيل لمقرس أن رجلا أقبل إلى المسيح وقال له: أيها المعلم الصالح أي خير الأعمال لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له : لم قلت صالحا إنما الصالح الله وحده... وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه أنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ولكن غيري يشهد لي، أخبرني كيف تكون شهادته حقا وباطلا ومقبولة وغير مقبولة وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى...¹.

وتعقيبا على النص، فقد جاءت منهجية القس بالمخاطبة كتابة مع الدعوة المباشرة للتنصير، وقد جاء الرد عليه مطولا في نطاق 171 مسألة²، إذ تناول الشاب مسائلا كان مسكوتا عنها لدى القساوسة أنفسهم، وجاء جوابه قائما على مرجعيتين، المرجعية الأولى: بذكر مسائل الإنجيل وتفنيد مزاعم القساوسة فيها، ثم المرجعية الثانية: بالتوثيق على عقلانية وإيجابية ما جاء به القرآن الكريم، فلم يستطع القس مجابته أو مواصلة التكرار عليه بالتنصير، لكن الأمر لم يقنع الشاب المسلم، الذي جعل من كتابه باكورة مخاطبات وكتب كرسى أغلبها في الرد على القساوسة الذين يحاولون تنصير المسلمين.

ومما سبق قد يثار العديد من التساؤلات، إذ أن البحث جاء من وجهة النظر المسلمة العربية، لذا قد يقابله استفساراً من المستشرقين (المستعربين)، حول: هل يوجد من يحاول الدعوة للإسلام في مرحلة الدراسة وما يليها؟، والجواب بالطبع كانت الدعوة للإسلام قائمة مستمرة، لكن بالمقارنة مع أسلوب القساوسة، أن الدعوة للإسلام لم تقم استغلالا لظرفية سياسية، والدليل جواب ابن سبعين، عندما رد على تساؤلات حاكم نصراني، إذ استهل خطابه

1 الخزرجي (أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 40-171.

2 الخزرجي (أحمد بن عبد الصمد)، المصدر السابق، ص 40-171.

له بالدعاء للدخول في دين الإسلام، دون محاولة التشكيك في الدين النصراني¹، هذا مع استمرار إيضاحات الفقهاء في مراحب المجتمع خاصة الطليطلي حول مراد التثليث، ومغزاه²، دون التطاول من غالبيتهم على الدين النصراني.

وعلى سبيل إتمام المشهد الحضاري الذي شاهده التنصير، لا بد من التنويه أن النصراني لم يندفعوا جميعا لتنصير المسلمين، فبعضهم أقام بموضعه من غرناطة، وإشبيلية وغيرهما من مدن الأندلس مؤثرا السلام، ومنهم من تأسلم للنجاة، ثم فر هاربا للمدن النصرانية، الأمر الذي حير الدولة الحاكمة، فكان دور الفقهاء وفتواهم هو الملاذ للجميع، إذ حفظ الفقيه للجميع حقه؛ طالما تأكدت الأحقية، سواء أكان في الأعباس، أم في الأموال، وغيرهما من أملاك رحل عنها أصحابها³.

أما السؤال المتوقع: هل تتواجد طرائق أخرى للتنصير؟، بالطبع نعم، ومن أهمها محاولات ترجمة القرآن الكريم من العربية للغات الأخرى، وإدخال بعض من المخالطات التي تنال من القرآن الكريم، ومن الرسول - ﷺ -، وكذلك قيام النصراني ببراء الدور، ليجعلوا منها كنيسة صغرى للقيام بمحاولة دس بعض الأفكار التنصيرية للمسلم المستقطب في هذه الدور؛ مما دعى الفقهاء للافتاء بمنع الكراء لهم⁽⁴⁾؛ وكذلك ما كان من دعوة النصرانيات بالزواج من رجال المسلمين، أو شراء الرقيق لا سيما من الأطفال المسلمين لمحاولة تنصيرهم⁽⁵⁾، وغير ذلك من طرائق قد شهدتها الأندلس حينئذ.

1 ابن سيعين (أبو محمد عبدالحق بن سبعين)، الكلام على المسائل الصِقْلِيَّة، تصحيح وتعليق: محمد شرف الدين التقايا، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1941 م، دط، ص 5-7، 16.

2 القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبو بكر الأنصاري)، كتاب من طليطلة تليث الوجدانية، دراسات عربية، روما، إيطاليا، 1970 م، دط، ص 24-29.

3 ابن ورد، المصدر السابق، ص 161-174.

4 المُنَظِّطِي، المصدر السابق، خ، ع، ر، 4، ص 50، 51، 120، 121، 134، و. مي (ميساء يوسف محمد)، المرجع السابق، ص 147، 151.

5 ابن زُكُون، المصدر السابق، خ، ع، ر، ج 10، ص 388. المُنَظِّطِي، المصدر السابق، س 1، 1، ص 120. العاملي (ابن سَمَاك)، المصدر السابق، ص 163. مي (ميساء يوسف محمد)، المرجع السابق، ص 246-247.

Text; "this is not, anyway, a normal activity among Christians, except in the case of children, especially daughters, where a Muslim man had married a Christian woman". De Epalza. Mikel Mozarabs: An Emblematic

وجملة القول: لقد اهتمت الممالك النصرانية بطرائق التنصير خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، كوسيلة من وسائل الحرب غير الدموية، وذلك باتباعهم لكيفية تعد لهم طرائق تنصير ذات حَبْكٍ، واتخاذهم لمنهجيات مدبرة ذات سَبْكٍ، بغية تحقيق مطامحهم في تنصير المسلمين، وعليه أسفرت هذه الطرائق بدورها عن بعض من النتائج الناجمة عن تلك الوقائع.

النتائج المستخلصة من البحث: حاول البحث الوقوف على عدد من النتائج بغية الاقتراب من بعض الوقائع التاريخية، التي نجمت عن محاولات التنصير، وكان منها:

- أهمية انتقاء الموقع الجغرافي للمدن حتى يسهل تنصير وتهريب المتنصرين إلى الممالك النصرانية.
- استغلال السياسة لإحداث فتنة طائفية بين المسلمين والنصارى في الأندلس.
- التنصير كان للذكور والإناث وإنما كان لتنصير الذكور واقع على الأسرة وعلى محيطه أعمق من تنصير المرأة.
- ثمة تنافس بين رجال الكنائس في الأندلس ونظرائهم في صقلية حول تعداد ونوعية المسلمين المتنصرين.
- إسهام النصارى المستعربين في إرساء قواعد النصرانية في المدن الأندلسية.
- إن محاولات التنصير ركزت على عناصر المجتمع الأعمق أثرا في البنية المجتمعية.
- التركيز على تنصير أصحاب الأصل العربي ذوي النسب مع الرسول ﷺ، وإن كان نسبا بعيدا.
- ليس كل حَلَقِ الجدل الثقافي بين المسلمين والنصارى كانت بدافع التنصير، بل بعضها كان احتكاك ثقافي وتقارب معرفي، وإن كانت قلة في تلك الحقبة الزمنية من عمر الأندلس.

ثبت المصادر والمراجع
أولا المخطوطات:

- ابن زُكُون (أبو علي حسن بن إبراهيم، ت: (553هـ/1158م): اعتماد الحكام في مسائل الأحكام، المكتبة الوطنية (الخزانة العامة)، الرباط، المغرب.

- المَتَنِي (أبو الحسن علي المتيني، ت: 570 هـ/ 1174 م): النهاية والتمام، المكتبة الوطنية (الخرانة العامة)، الرباط، المغرب.

ثانيا: المصادر:

1- الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني، ت: 560 هـ/ 1165 م): نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422 هـ/ 2002 م.

2- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكناني الشاطبي، ت: 614 هـ/ 1217 م): الرحلة، دارصادر، بيروت، لبنان، د.ت.

3- الحموي (ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت: 626 هـ/ 1229 م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 هـ/ 1977 م.

4- الجُمَيْرِي (محمد بن عبد المنعم الحميري، حيا أواخر القرن 9 هـ/ 15 م): الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984 م. ط 2.

5- الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، (ت: 582 هـ/ 1186 م): مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشَّرفي، الجامعة التونسية، تونس، د.ت.

6- ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب السَّلْمَانِي (ت: 776 هـ/ 1374 م)، أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956 م، ط 2.

7- ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين رَقْم الحُلل في نظم الدول، تحقيق عبد الرحمن بن عايد بن أحمد المفضلي، دار المازري، تونس، 1443 هـ/ 2021 م، ط 1.

8- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون، ت: 808 هـ/ 1406 م): ديوان المبتدأ والخبر (العبر)، ضبط وفهرسة: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421 هـ/ 2001 م.

9- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: 748 هـ/ 1374 م): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط- محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417 هـ/ 1996 م، ط 11.

10- راهب من فرنسا ورد الباجي، أبو الوليد (ت: 474 هـ/ 1081 م): رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، 1406 هـ/ 1986 م، ط 1.

11- ابن سبعين (أبو محمد عبد الحق، ت: 669 هـ/ 1269 م): الكلام على المسائل الصَقِيلِيَّة، تصحيح وتعليق: محمد شرف الدين يا التقايا، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1941 م، د.ط.

- 12- العاملي (ابن سَمَاك، أبو القاسم محمد بن أبو العلاء محمد بن سَمَاك المالقي الغرناطي، من علماء القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد): الخُلل المؤشّية، دراسة وتحقيق: عبدالقادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ط1.
- 13- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبدالله، ت: 543هـ/ 1148م): أحكام القرآن، تحقيق: مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة- المنصورة، مصر، 1437هـ/ 2016م، ط1.
- 14- عِيَّاض (عِيَّاض بن موسى اليحصبي السبتي، ت: 544هـ/ 1149م): مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بنشرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ط2.
- 15- القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبو بكر الأنصاري، ت: 671هـ/ 1271-1272م): كتاب من طليطة تليث الوجدانية، دراسات عربية، روما، إيطاليا، 1970م.
- 16- القيرواني (ابن رشيق، أبو علي الحسن، ت: 463هـ/ 1070م): ديوان القيرواني، ابن رشيق، جمعه ورتبه: عبدالرحمن باغي، دار الثقافة، بيروت، 1409هـ/ 1989م.
- 17- المرّاكشي، ابن عِذاري (أبو عبدالله محمد (أو أحمد) بن محمد، ت: بعد 712هـ/ 1312م): البيان المغرب، ابن عِذاري المرّاكشي: البيان المغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت، ط3/ ج 5 تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان- دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/ 1985م، ط1.
- 18- ابن مُصَلِّين (يعلى بن مُصَلِّين المصمودي الرجرجي، ت: أواخر القرن 4هـ/ 10م): مختصر كتاب الفصول في أجوبة فقهاء القرويين في مسائل أهل البادية وأهل الجبال الذين لا ولي لهم ولا سلطان، لابن زيد القيرواني (أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني، ت: 386هـ/)، تحقيق: الحسن خالد شجعيد، دار الفتح، عمان، الأردن، 1445هـ/ 2023م، ط1.
- 19- ابن وَزْد (أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي، ت: 540هـ/ 1145م): الأجوبة، تحقيق: بدر العمراني، المكتبة العمريّة- دار الذخائر، القاهرة، مصر، 1444هـ/ 2023م، ط1.
- ثالثا المراجع العربية والمعرية:
- 20- أحمد (عزّين)، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 1389هـ/ 1980م، ط1.
- 21- أولاغوي (إغناسيو): العرب لم يستعمروا إسبانيا، ترجمة: علي المنوفي- طارق شعبان، مركز نهوض للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2019م، ط1.
- 22- بوتشيش (إبراهيم القادري): الأقلية الإسلامية في صقلية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 2016م، ط1.
- 23- حامد (إسماعيل)، تاريخ المسيحية، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط1، 2014م

- 24- عنان (محمد عبد الله): دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417 هـ/ 1997 م، ط4.
25- غراب (عبد الفتاح إسماعيل): العمل التنصيري في العالم العربي، مكتبة البدر، ط. خ، 2007 م، ط1.
26- مكي (الطاهر أحمد): شمس الله تشرق على إسبانيا، تحقيق: محمود محمد مكي، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، 1445 هـ، ط1.
27- مؤنس (حسين): أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1407 هـ/ 1987 م، ط1.
28- نكادي (يوسف): صقلية الإسلامية النورمانية، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1445 هـ/ 2023 م، ط1.
رابعاً المراجع الأجنبية:

- 29- Danial, Norman; The Arabs and Mediaeval Europe, Longman Group Limited, London, British, Second edition, 1979.
30- De Epalza. Mikel Mozarabs: An Emblematic Christian Minority in Islamic Al-Andalus, The formation of Al-Andalus. p1, Ed. Manuela Mari'n, Ashgate, Aldershot Brookfield USA, Singapore, Sydney, 1998
31- Granados Garcia, Anastasio ; El Rito Mozàrabe en Palencia, Palencia, Espane, 1973.
32- Guichard, Pierre ; L'Espagne Et La Sicile Musulmanes Aux Xle Et Xlle Siecles, Presses Universitaires de Lyon, France, 1990.
33- Morgan, Campbell; Evangelism, Kaven Liyprary ; Kons Kollege, Toronto, Canada, 1904.
34- Urvoy, Marie-Thérèse; Remarques Sur Le Déchiffrement Des Manuscrits Mozarabes, Al Qant.ara, Madrid ,Espan, 1998.

خامساً: المجالات والدوريات:

- 35- آر بروستر (دانييل): الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير، المؤتمر التبشيري (التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي)، دار مارك، كولورادو، أمريكا، 1978 م.
36- السُّلبي (جعفر ابن الحاج): اكتشاف البروتستانتية- مَدَيَات التعارف في المغرب والأندلس، مجلس حكماء المسلمين، الحكماء للنشر، القاهرة، مصر، 1445 هـ/ 2024 م، ط1.
37- مكي (محمود علي): قراءة جديدة لوثائق مستعربي طليطلة، مجلة مجمع اللغة العربية، 1415 هـ/ 1994 م.
38- و. ويبستر (وارين): مراجع مختارة للمنصرين العاملين بين المسلمين، المؤتمر التبشيري (التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي)، دار مارك، كولورادو، أمريكا، 1978 م.
سادساً: الرسائل:

- 39- مي (ميساء يوسف محمد)، الوثائق العدلية ودورها الحضاري في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد مخطوط كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للقاضي أبي الحسن علي المتيطي (ت: 570 هـ/ 1174 م) أنموذجا، دكتوراه، غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1445 هـ/ 2024 م.